بيروت ٣١ آذار ١٩٥٠

الأستاذ الكبير ميشال شيحا يتحدث "لبيروت" عن القطيعة

دعوا الأيام تحلّ المشكلة فالأرقام لا تحلّها !

وحدتنا مع سوريا منذ ألفي سنة ولن تقف الحكومتان بوجه التاريخ.

بقلم محمد أمين دوغان

كان دولة الرئيس عبد الله اليافي يستمع إلي في مكتب الجريدة حين سألت الأستاذ محيي الدين : وين بتريد روح اليوم ؟... وانبرى دولة عبد الله بك قائلاً :

"أنا اليوم بدي أوجهك يا أمين !..." قلت على الرحب والسعة... بينما كان الأستاذ محيي الدين يستمع الى حوارنا قال عبد الله بك : إذهب الى الأستاذ ميشال شيحا فهو من أكبر رجالنا اتزاناً ومعرفة في القضايا المالية والإقتصادية والسياسية. ولكل كلمة يقولها وزن، ولكل تعبير عنده معنى... لا سيما وانت قد استمعت الى آراء فريق كبير من رجال الإقتصاد في البلاد...

قلم وورقتين...

سحبت ورائي قلمي الصغير، وقصاصتين من الورق الأبيض، وضعتهما في جيبي، وتوجهت الى بنك شيحا، وأنا أقول في نفسي : هل يا ترى ميشال شيحا هو ذلك الرجل الذي أقرأ له كل صباح في جريدته الكبرى "لوجور" وفيه تلك النفحة العلوية، أم أن ميشال شيحا المليونير الإقتصادي ؟...

توكلت على الله ودخلت. ويستقبلني مكتب ضخم عريض، وفيه موظفون بالعشرات.. ويهب أحدهم واقفاً أمامي ويمدّ إلي سمعه فأقول : مسيو شيحا موجود ؟

- نعم ، مين حضرتك ؟

ج – فلان ... من جريدة "بيروت"

س – وشو يعني بتريد منو شي ؟ وفي موعد بينك وبينو ؟

ج – لا إنما هو يعلم الغاية من هذه الزيارة ...

ويدخل الموظف، وأسمع صوتاً يقول خليه يتفضل ينتظر ١٠ دقائق بس... ثم يخرج ليبلغني ما سمعت، ويقول معتذراً : عندو وزير البرازيل ... ثم يتقدمني الى غرفة الإنتظار.

مش ميشال

وبعد خمس دقائق أسمع وطأ أقدام تقترب من الغرفة، فأعد نفسي لمقابلة ميشال شيحا (وأنا لا أعرفه شخصياً) وإذا برجل يسلم علي بيده من بعيد فأقف له، وإذا به يخرج، وأعلم أنه مش ميشال...

مضت عشر دقائق، وإذا بباب يدفع ورجل يطل علي، لا أرى في وجهه سوى عينين نفاذتين.. أعمتاني عن رؤيا كل شيء سواهما.. ويحييني بلطف ويقول : حضرتك مسيو دوغان ؟ فأجيبه خجلاً من نفسي : نعم مسيو شيحا..

ميشال ..

ويأخذ بيدي الى غرفة داخلية ليست مكتبه على ما أعتقد لأنها غرفة متواضعة أثاثها قديم، ولكنها مرتبة على كل حال..

ويأمرني بالجلوس فأجلس، وإذا به يجلس الى جانبي مغادراً مقعده وراء المكتب فأجد فيه رجلاً من الوزن الثقيل، ويكبر في عيني، حتى لا أجد في الغرفة كلها إلا ميشال شيحا.

تطلع في وجهي بعيني أب رحيم، وانفرجت شفتاه الغليظتان عن فم واسع خلتُ أنه يقول لي : تفضل، وأدخل الى قلبي من هنا.. لتفهم ماذا أقول لك !.. ثم يقول : يا أمين، أعتذر لك من كل قلبي لأنني لم أستقبلك حالاً، نظراً لاجتماعي الى أحد الأشخاص.. وأجيبه : أرجوك يا مسيو شيحا أنا مثل ابنك !..

ويتطلع إلي وأنا أخالسه النظرات من فوق الى تحت، ويسألني : انت، شو بتكتب بجريدة "بيروت" ؟ وقلت في نفسي : الله يساعدني على ها السؤال !. وأجبت بكل بساطة : أنا أنقل ما يكتبه الآخرون بأفواههم ... ويهز برأسه قائلاً : هه، يعني هيدا انت يللي عم تكتب الربورتاجات مع رجال الإقتصاد ؟ قلت نعم مسيو شيحا، وأنا أشعر أنه لا يصدق أنني هو الشخص الذي يكتب ذلك (طولي ١،٦٠ م.. يمكن زايدهم سانتي بس !..)

قضية ملعونة

وبعد أن اطمأن الى أنه "مش غلطان" قال لي : شو أخبارك اليوم ؟ وأجبته : يا ويلي، أنا بدي أعطيك أخبار؟!.. فضحك عالياً وضحكت أعلى ، وقلت : شو أخبار الجامعة العربية ؟ فقال أخبارها نقرأها بالصحف، ما عندي شيء خصوصي، إنما قضية شرق الأردن هيدي قضية ملعونة ... إن شاء الله خير !

الله ... وعبد الله !.

وتطلع في وجهي وقال : بس بحياتك مين بعتك لعندي ؟

فقلت له : الله !. فابتسم وقال : صحيح كلو شغل الله، لكن مين كان الواسطة ؟ فأجبته : الواسطة : عبد الله!.

ونظر إلي بعينين تقرأ فيهما الحب والخير والإخلاص، وقلت له : هيدي شغلة عبد الله اليافي .. هو الذي أرسلني إليك، دون أن أطلب منه ذلك، وهو الذي أرسله الله الى الجريدة، دون أن نرسل وراءه.. إذا فالله هو الذي أرسلني !

فضحك مسيو شيحا حتى كان يستلقي .. أما أنا فقد كنت "مسنوداً بالكرسي .. وقال : صحيح إنك شاطر بالحساب !.

ما بصرّح لحدا ..

وهنا يدخل أحد الموظفين، فيطلب منه أن يحضر فنجان قهوة وعلبة سكاير، بسرعة .. ويلتفت إلي قائلاً أنا كثير مبسوط بالشي يللي عم تكتبوا، وسلم لي كتير على الأستاذ محيي الدين، وقللوا ميشال بيسلم عليك، بس ما بصرّح لحدا، ولابيحكي شي !.

فقلت بقلبي : والله، ما بضهر غير ما آخذ حديث !..

وإذا به يقول: بس، بحاكيك بصفة مواطن لبناني، مش بصفة صحافي، لأنني لم أتحدث في حياتي حديثاً صحفياً، فالذي عندي أقوله في صحيفتي (لوجور) بكلمتين مختصرتين جداً، "بفش فيهم خلقي !" وهذه هي الميزة الوحيدة التي يتمتع بها الصحفي دون غيره من سائر البشر ... (وهنا دخل موظف وقال : البنك السوري عاوز يحكي معك ... فاستأذن، وخرج).

وكانت فرصة سعيدة جداً أتناول فيها قلمي من جيبي أدَوّن بسرعة غريبة بعض أقواله التي ذكرتها للقاريء، ثم أدس القلم في جيبي إذ أسمع صوت قدمه يقترب.. كتلميذ "عم ينقل" من رفيقه ويخشى أن يأخذ صفراً في الإمتحان !..

دخل ، فوقفت، ثم جلس فجلست، وأنا أخشى أن يكون قد "دري بالطبخة !" فإذا به يقول : أرجوك، هذا حديث أقوله لك، بصفة مواطن لبناني، وأرجو ألا تذكر شيئاً مما أقوله لك عن لساني، لأنني، ما بحب صرّح..

قلت له : بأمرك مسيو شيحا.

شيحا يتكلم ..

وهنا بدأ الأستاذ شيحا يتكلم .. قال : قضيتنا مع سوريا لا تنتهي الا "بطولة البال" ولن تحلها الأرقام، ولا السياسة، ولا الإقتصاد، ولا الإجتماعات.. إنها قضية غير طبيعية، ولن تحلها سوى الطبيعة.. ولو شئت أن أكتب عن هذه القضية لألفت مجلداً، ولكن هذا المجلد، لن يحل المشكلة كذلك!.. (وهنا شعر أنه بدأ يتكلم، فقال : بس شوف، بحياتك أكثر من هيك ما في عندي !) وأجبته : أنا مواطن لبناني.. ,اجابني : طيب خود هالكلمتين..

من ألفي سنة

يا أمين المسألة "بدها رواق.." وإخلاص ومحبة، مش أرقام وسياسة واقتصاد.. لقد كنا مع سوريا متحدين منذ ألفي سنة، هناك وحدة في الروح، وفي العمل، وفي الأخوة، كيف يمكن أن تقطع الحكومتان، فجأة، تاريخ أمة بكاملها، وتاريخ شعبين عاشا معاً منذ فجر التاريخ ؟.. ومهما عملنا، ومهما قلنا فالواقع في النهاية له القول الفصل والكلمة الأخيرة..

الحق والخطأ..

لقد وقعت القطيعة بسبب تشبث رجال السياسة هنا وفي سوريا، وقف كل فريق عند رأي، فلا نستطيع أن نقول : هذا مخطيء، وهذا مصيب، لأنك لا تعرف أيهما على حق وأيهما على خطأ، وقد يكون الحق مع الجهتين.. وقد يكونا معاً مخطئين !!

كنت أستمع الى ميشال شيحا (ليعذرني القاريء إن ذكرت اسم محدثي الكبير خالياً من اللقب، فالإنسان لا يكبر بلقبه.. وإذا كان ممن يكبرون بلقبهم، فأنا أذكر عند ذلك اللقب وأدع الإسم !!) لقد كنت أستمع إليه يتحدث، فلا أرى إلا كتلة حية "تغلي بالحياة" ويشع إشعاعاً غريباً حين يحدثك حتى أنك لتحس من أعماقك بكهربانات حديثه تلامس قلبك، فتسري الرعشة في عروقك !..

بارومتر المشاكل طالع !

إلتفت إلي وقال (بعد أن شرب فنجان القهوة دفعة واحدة !..) في بلاد العرب مشكلات.. قد تبلغ الخمسين مشكلة.. "وبارومتر المشاكل طالع !" فالأولى بنا ألا نزيد هذه المشكلات مشكلة جديدة، فنأني ضغثاً على ابالة (هذه الجملة طبعاً أنا كتبتها) وأرجو أن نسعى ما بوسعنا أن "نبرد الجو" العربي العام لأننا نخشى على استقلال البلاد العربية.. وأخشى ما نخشاه على استقلال هذه الجارة العزيزة، وأن نساعدها على الاستقرار والهدوء، اللذين يكفلان للبلدين معاً حياة سعيدة هانئة.

ولذلك أعود فأقول : علينا أن نتريث وندع الزمان وحده يحل هذه المشكلة الطارئة (الإنفصال الإقتصادي).

وهنا دعي ثانية ليتحدث مع المسيو كارباسيتي بالتلفون فوجدت الفرصة سانحة لأن أختلس بضع كلمات قالها، بسرعة، فيدخل "ويرى القلم وحده في يدي، بينما الورقة في جيبي منذ لحظة فقط..

لقد شعر المسيو شيحا أنه أمام صحفي يسجل عليه أنفاسه.. فابتسم وقال :لا أرى مانعاً من نشر ما سمعت، على ألا تذكر اسمي.. (قلت في نفسي، هذه خطوة مباركة !)

لبنان العربي ..

والتفت الي وهو يبسط كفيه الضخمتين وقد حمل قلبه الكبير عليهما، وقال والله لقد أثبت الواقع منذ خمسين سنة حتى اليوم أن لبنان.. ونظر إلي ليرى ما إذا كنت أعرف ما سيقول، فأجيبه : لبنان أخلص دولة للعرب

والعروبة.. ويجيبني ضاحكاً : هذا ما أريد أن أقوله !.. نعم، إن لبنان يخدم العروبة والعرب، ويحب المحافظة على استقلال كل أمة عربية، ولن يكون سوى ذلك، لأن رسالته هي رسالة الحب والخير والجمال.

الصواب هو البحر

أما رأيي الخاص في السياسة والإقتصادية الدولية هي أن "الصواب هو البحر".. وشعر أنني لم أفهم قصده فقال : يعني أن تفتح الدول أبوابها لبعضها البعض، ولا تقيم حواجز ولاموانع، فالعالم اليوم قد بدأ يضيق، ويكاد عنصر الزمان يتلاشى مما نشاهد من اختراعات عظمى تسحق المسافات، وإذا بالمسافة التي كانت تقطع بالأيام أصبحت تجتاز بالدقائق.. ولذلك فالعالم يقترب من بعضه نحو الوحدة، نحو التكتل لخير الإنسانية، ولكن مع الأسف "كلما زغر العالم كلما زغرت عقولنا".

لست أدري أية رعشة داخلتني حين سمعت هذه الجملة، فقد نفذت الى قلبي، إنها جملة خرجت من قلب كبير..

قلوب ورحمة ..

ثم التفت الي وقال : شوف يا امين، ليس في الدنيا مشكلة لا يحلها الحب والرحمة. وقلت : وكيف يا صديقي الكبير تحل مشكلاتنا وليس في صدور القائمين على حلها قلوب !؟

وودعته، وأنا أعيش في جو رفيع من الخيال، لقد رفعني ميشال شيحا الى "برجه العاجي"إنه أراني العالم بأسره صغيراً.. وسرت في الشارع عائداً الى جريدتي بعد مقابلة دامت ربع ساعة ، ولا تزال ترن كلمته في أذني : أنا مقصر يا أمين، سلم لي على الأستاذ محيي الدين كتير كتير .. لأنني ما بروح لمحل".

وقلت في نفسي : لو كان ميشال شيحا "بروح لمحل" لما كان لنا ميشال شيحا !.

ما شفت ميشال شيحا !

وهناك .. في جريدة "بيروت" وجدت دولة عبد الله اليافي يتحدث الى الأستاذ محيي الدين، وحين يلقاني دولته يسألني بلهفة : شفته ؟ أخذت منه حديث ؟ كيف شكله ؟.. وأجيبه : إني أراه لأول مرة.. إنه يشابه قليلا هنري فرعون.. فيضحك علي من أعماقه ويقول : انت ما شفت ميشال شيحا ؟..

وخرجت مغتاظاً وأنا أقول : أنا أكتفي بمن رأيت وبما سمعت، فإذا كان هذا الرجل غير ميشال شيحا فأنا لا أريد ميشال شيحا المليونير..

والآن وقد قال لي ميشال شيحا أن الصحفي "يفش خلقه بجريدته" فإنني أدعو المسؤولين أن يمنحوا امتيازات صحفية لجميع اللبنانيين حتى "يفشوا خلقهم" أحسن "ما يفشواخلقهم فيهم !!"

ملاحظة : قال لي السيد شيحا أنه لكثرة اشغاله لا يقرأ كل شيء يُكتب. حتى أنه لا يقرأ ما يكتب هو بنفسه!..

وآمل ألآ يقرأ ما كتبت لأنها "فضيحة ما بتسوى بحقي !!"